

فنية الشعر وجمالياته عند الراجعي *Al-Rafei's poetry and aesthetics*

أ.د. محمد عباس

عبود سليمان*

جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان

جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان

م/ تعريب المصطلح في العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية م/ تعريب المصطلح في العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

Feth.abbas@gmail.com

abdelfatah2904@gmail.com

تاريخ النشر: 2026-06-09

تاريخ القبول: 2026-04-27

تاريخ الاستلام: 2026-03-13

ملخص:

كثرت الدراسات واختلفت حول تحديد مفهوم الشعر. فقد عني العرب بهذا الفن عناية فائقة فكان ديوانهم وديعهم وقبلهم من قالوا لما عرفوا الشعر بأنه عربة يجرها جوادان هما العاطفة والخيال يقودهما رجل حكيم هو العقل. وأول كتاب لهم كان في "فن الشعر" وفي عصرنا الحديث ما أكثر من تكلم عن فن ومفهوم الشعر نأخذ واحدا منهم إذا قرأت له ينتابك شعور وكأنه أخذ اللغة ملكة لا صناعة أو بالأحرى ممن عاصروا الأصمعي أو الجاحظ إنه الشاعر و الناقد: مصطفى صادق الراجعي (1880-1937). يتناول هذا المقال بالبحث والدراسة فنية الشعر وجمالياته عند الراجعي، وتأني أهميته من أنه دراسة مستقلة الجهود وبخاصة في ديوانه الشهير الذي صدر له بمقدمة حيرت أهل البيان في عصره. فمنهم من شكك في نسبتها إليه فتراه مترددا في قبولها وآخر يخالها مترجمة، لكن شهود النفي قطعوا الشك باليقين. فما هي نظرة الراجعي للشعر؟ هل رآه مجرد كلام موزون مقفى؟ أم رآه طائفا يلهم خليجات النفس ليظهر في فصاحة اللسان. كل هذا وذاك سنتطرق له في هذا المقال.

الكلمات المفتاحية: جمالية الشعر، الراجعي، ديوان، فنية، محافظون، مجددون.

Abstract :

Many studies have differed on the definition of poetry. The Arabs paid great attention to this art, considering it their diwan (collection of works), their way of life, and their heart. They defined poetry as a chariot pulled by two horses—emotion and imagination—driven by a wise man, the mind. Their first book was on "The Art of Poetry." In our modern era, many have discussed the art and concept of poetry. We will focus on one of them who, when you read his work, you feel as if he mastered language as a gift, not a craft—or rather, as if he were a contemporary of Al-Asma'i or Al-Jahiz: the poet and critic Mustafa Sadiq Al-Rafi'i (1880-1937).

This article researches and studies the aesthetics and artistry of poetry according to Al-Rafi'i. Its importance lies in being an independent study, particularly of his famous diwan, which was published with an introduction that perplexed the rhetoricians of his time. Some doubted its attribution to him, hesitating to accept it, while others thought it was translated. However, witnesses to the contrary dispelled all doubt.

What was Al-Rafi'i's view on poetry? Did he see it as merely metered and rhymed speech, or did he see it as a specter that inspires the soul's inner thoughts to manifest in eloquent language?

We will explore all of this in this article.

KeyWords: The aesthetics of poetry, Al-Rafi'i, Diwan, artistic, conservatives, modernists.

*عبود سليمان

مقدمة:

لقد خضع الشعر العربي في القرن العشرين لمؤثرات كان لها أطيّب الأثر في إظهار خلاصة قرائح الأدباء والشعراء في تنوع الأغراض الشعرية، وذلك راجع إلى طبيعة البيئة التي كانوا يعيشون فيها ، والظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية المحيطة بهم ؛ إذ تراهما فريقين: يختصمان بين مجدد تشبع بالثقافة الغربية وراح يشهر ثورته على القديم من أمثال الثلاثي المتمثل في الديوان وزيادة على ذلك أدباء المهجر الذين تأثروا بالمدرسة الرومانسية، وبين محافظ على الموروث العربي كحافظ إبراهيم وشوقي والبارودي وغيرهم ممن جاروا أبا تمام والبحري والمتنبي.

ويهدف هذا العمل إلى تسليط الضوء على الظاهرة الشعرية لدى مصطفى صادق الرافعي وتفرعاتها المتنوعة.

وقد اعتمدت في ذلك على المنهج الوصفي التحليلي في تناول أشعاره وخصائصها المتجلية في الأغراض الشعرية الكلاسيكية، ومواقفه النقدية المتعددة.

وقد اتبعت في هذا الورقة البحثية الخطة التالية:

- مقدمة

- مكانة الرافعي الأدبية

- منهج الرافعي

- مفهوم الشعر لدى الرافعي

- الأغراض الشعرية المطروقة من الرافعي

1 - المدح

2 - التهذيب

3 - الوصف

4 - الرثاء

5 - الغزل

- من مواقف الرافعي النقدية

- خاتمة البحث ونتائجه

قلب النص:

- مكانة الرافعي الأدبية:

ليس الرافعي استثناء من الشعراء المحافظين فقد امتلك ناصية البيان في سجاحة أسلوب ونصوع ديباجة وإشراق تعبير فأول ما يمم وجهه شطر الأدب العربي كانت وجهته تجاه الشعر، فقد نظم ولم يتجاوز الثالثة والعشرين من عمره .

ولما أصدر الرافعي الجزء الأول من ديوانه صدره بمقدمة جلييلة عظيمة طويلة في تعريفه للشعر ثم نشره في مجلة "المؤيد" فتناولتها الصحف بشره من النقد والتقريظ، واحتفلت المجلة بهذا الديوان ومقدمته احتفالا كبيرا إلا واحد وهو شيخ العربية آنذاك "إبراهيم اليازجي"، إذ كان يراوده بعض الشك بأن المقدمة ليست من إنتاج الرافعي. وذهب فيه مذهب الظن إلا أن الظن لا يغني عن الحق شيئا.

وبعد أن نظر ثم نظر وتأكد بأن المقدمة من إنشاء الرافعي كتب تقریظاً مما يأتي : (الريان، 1955، صفحة 49) "وقد صدر الناظم ديوانه بمقدمة طويلة في تعريف الشعر، ذهب فيها مذهبا عزيزا في البلاغة، وتبسط ما شاء في وصف الشعر وتقسيمه وبيان مزيتة في كلام تضمن من فنون المجاز وضروب الخيال ما إذا تدبرته وجدته هو الشعر بعينه... (الريان، 1955، صفحة 50)

وقد جاء في مقدمة الرافعي ما يلي " أول الشعر اجتماع أسبابه وإنما يرجع في ذلك إلى طبع صقلته الحكمة وفكر جلا صفحته البيان ، فما الشعر إلا لسان القلب إذا خاطب القلب، وسفير النفس إذا ناجت النفس، ولا خير في لسان غير مبین - ولا في سفير غير حكيم.

ولو كان طيرا يغرد لكان الطبع لسانه - والرأس عشه. والقلب روضته وكان غناؤه ما يسمعه من أقوال المجيدين من الشعراء. وحسبك بكلام تتصرف إليه كل جارحة، وتضم عليه كل جانحة، ويجني من كل شيء حتى لتحسب

الشعراء من النحل تأكل من كل الثمرات فيخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس..." (الرافعي، 1322هـ، صفحة 3)

وفي ديوان الرافعي وهو ثمرة أعماله الأدبية التي أتت أكلها نلمس محاكاته لشعراء البعث والإحياء الذين قاموا بالشعر بعد قعوده وجموده وركوده، وبخاصة محمود سامي البارودي، فقد تأثر به كثيرا وسمى ابنه على اسمه فكان يكنى به (أبو سامي). وتلك المحاكاة تتفق مع طبيعة البداية التي يمر بها جل الشعراء، وهذا يذكرنا ما كان ينسج عليها المبتدئون في العصر الجاهلي فكان موردتهم بحر الرجز حتى سموه حمار الشعر لأنه سهل الامتطاء.

- منهج الرافعي:

سار الرافعي على نهج الأولين في أشعارهم مقتفيا محاكيا في ذلك خطى أسلافه، لأن المحاكاة ليست منقصة كما أنّ التناص كذلك، بل هو من ضرورات الإبداع. « ففي القرن الثامن عشر كانت المحاكاة كثيرة الورود في الكتابات النقدية حتى عند الذين بدأوا يؤمنون بقيمة العبقرية الفردية وأثرها في الشعر » (إحسان عباس، 1955، صفحة 16)

لكن المحاكاة ليست نسخا فوتوغرافيا لمن سبقوا فقد يتفق شاعر مع آخر في لفظ أو معنى، وقد يتشابه الشطر وحتى البيت أحيانا وذلك ما نلمسه فيما جاء في معلقتي امرئ القيس وطرفة بن العبد.

يقول امرؤ القيس:

وقوفا بما صحبي علي مطيهم - يقولون لا تهلك أسي وتحمل (امرؤ القيس، صفحة 9)

ويقول طرفة :

وقوفا بما صحبي علي مطيهم - يقولون لا تهلك أسي وتحمل (طرفة بن العبد، صفحة 19)

وفي هذا الشأن يذكر ابن سلام الجمحي هذا المصطلح في معرض حديثه عن امرئ القيس فيقول : "فاجتمع لامرئ القيس من يقدمه و ليس أنه قال ما لم يقولوا ولكنه سبق العرب إلى أشياء ابتدعها استحسنتها العرب واتبعته فيه الشعراء" (محمد بن سلام الجمحي، صفحة 42)

أما صاحب مقولة: "والشعر صناعة وضرب من التصوير" فقد عدّ الإبداع أقصى درجات الكلام إذ يقول "لأن الشيء من غير معدنه أغرب، و كلما كان أغرب كان أبعد و كلما كان أبعد في الوهم كان أطرف، وكلما كان أطرف كان أعجب وكلما كان أعجب كان أبعد" (الجاحظ، صفحة 89 . 90)

- مفهوم الشعر لدى الراجعي:

لما عرض الراجعي مفهوم الشعر عنده قال : " فالمراد بالشعر - أي نظم الكلام - هو في رأينا التأثير في النفس لا غير، والفن كله إنما هو هذا التأثير والاحتياال على رجة النفس له واهتزازها بألفاظ الشعر ووزنه وإدارة معانيه وطريقة تأديتها إلى النفس " (الراجعي، صفحة 237)

وما من غرض جاد به الشعر العربي من الأغراض إلا وتجند الراجعي قد طرق بابيه. " كالمده والوصف والغزل والنسيب، والحكمة والتهذيب والثناء الذي يحاكي به شعراء العصور العباسية وفي التزامه بالقصيدة الموزونة المقفاة " (إبراهيم الكوفي، 1977، صفحة 20)

- الأغراض الشعرية المطروقة من الراجعي:

1- المده :

لم يكن غرض المده عند الراجعي فيه إثراء أو مبالغة أو محاباة، وإنما كان يمدح الإنسان بما فيه وفي ذلك نرى في مده:

وأراه أحياء للبالغة دولة مات ابن برد دونها والأصمعي

وأبيك لولا معجزات بيانه ما كان في إحيائها من مطعم (الراجعي، 1322هـ، صفحة 42)

في هذين البيتين مده الشيخ محمد عبده والشاعر الكبير محمود سامي البارودي باعتبار الأول رمز الإصلاح الفكري والثاني رمز النهضة الأدبية، مما يشي بطبيعة تصوره لهذه النهضة التي يدعو إليها، فهي تقوم على أساس من العودة إلى التراث ووعيه، وخاصة الجانب الديني منه والأدبي". (إبراهيم الكوفي، 1977، صفحة 21. 22)

2 - التهذيب :

لقد كتب قطعا من الشعر للنساء المصري من تلامذة المدارس تهذبا لأنفسهم وتحلية لعقولهم طالبا منهم التحلي بصفات عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيقول :

لا زينة المرء تعليه ولا المال ولا يشرفه عم ولا خال

وإنما يتسامى للعلا رجل ما في العزيمة لا تشنيه أهوال

ألم يكن عمر يرعى المخاض فهل ترى العلا بطن واد فيه آبال

رأى الهدى فجلاه للورى قمرا ملء العيون وكل الناس ضلال
ولم يكن أحد يلهيه عن أحد كأنه والد والناس أطفال (الرافعي، 1322هـ، صفحة 42)

3 - الوصف :

قال يصف القرى وفجرها والعيش فيها:

دموع الفجر هذي أم دموعي تفرق بين أجفان الربيع
وهن من الأزاهر في شفاه كما يحلو اللمي بعد الهجوع
ومن الليل أنفاسا عذابا كأنفاس المليحة للضجيع
ولاح الصبح يسفر عن جبين عليه الشمس حالية السطوع (الرافعي، 1322هـ، صفحة هـ، ص)

4 - الرثاء :

قال يرثي الأمير عبد الرحمان أمير أفغانستان، والمجد كله في اسمه كما كانت الحكمة والهمة في جسمه رحمه الله .

يا فاجع الموت ماذا ينفع الحذر وقد عهدناك لا تبقي ولا تذر
من يتعظ فصروف الدهر موعظة وما مواعظ دهر كله عبر
يا لهف (كابل) ما فاجأت كافلها حتى درى كل قلب كيف ينفطر
وكان يأتيه ريب الدهر معتذرا واليوم عنه صروف الدهر تعتذر

(الرافعي، 1322هـ، صفحة 142)

5- الغزل

أما الغزل فقد كان بينه وبين الرافعي ميعاد ، فقد كتب فيه روائع وبدائع وصل من الفنون إلى حد الجنون، وسمى نفسه شاعر الحسن، فقد أحب أكثر من واحدة. وبين أيدينا هذه القصيدة السينية. كنت أود أن أتصرف فيها ، فأحذف ثلاثة أبيات منها على الأقل حتى لا يؤثر الغزل على باقي الأغراض السابقة، فما استطعت إلى ذلك سبيلا ووجدت كل بيت أسيرا للآخر فتركتها مع السبعة تلك عشرة كاملة يقول فيها :

خداك يا ذات العيون الفاترات النعس

كالورد إلا أنه يحميه لحظ النرجس
وأما وقدك وهو من تلك الغصون الميس
وشفاهك الحمراء والخمر التي لم أحتس
إني إذا رقص القوام ومال تحت السندس
ونظرت ثغرك ضاحكا وبقيت لي لم تعبسي
وسقيتني راح الهوى : من غير تلك الأكوس
لأرى الكواكب خادما : نى كالجواري الكنس
وأظنني بين الملو : ك ملك كل الأنفس

وأرى بحبك كل أن : س حاضرا في مجلسي (الرافعي، 1322هـ، صفحة 78. 79)

وعلى إثر هذا الغرض نرى بأن المرأة في شعر الرافعي كانت عنصرا هاما، فلربما نالت حصة الأسد في كتاباته من أجل ذلك ألف حديث القمر، وأوراق الورد؛ ورسائل الأحزان، فكما هو معروف لقد أحبّ الرافعي أكثر من واحدة إذ تراه يقول بأن المرأة بحسنها ودلالها تلغمه ، بل تلهمه الشعر، فكما يرى في خديها السحر، يرى في عينيها الشعر. معنى ذلك لا أقول بأن حبه كان ماديا بغرض الغريزة، ولم يكن عذريا كصاحب بثينة والمجنون. بل كان إلهاميا وضرب لنا مثلا بتلك الأدبية الشاعرة اللبنانية "مي زيادة" التي كان يزور مجلسها كل ثلاثاء هو وثلة من الأدباء ، حيث تقيم لهم أمسية أدبية ، فكان الرافعي أول من يدخل المجلس وآخر من يخرج. ربما كان يخيل إليه بأنه الوحيد الذي ملك قلبها كما ملك قلبه.

والسؤال المطروح - هل كل الشعراء كانوا كذلك؟ فكلهم كان يتجرع كأس المرارة ولا يبوح للآخر بما فعل به. في اعتقادي: وكل يدعي "بمي" وصلها. و"مي" لا تقر إلا لذاكا*

على حسب ما يبدو لي المرئي واحد والراؤون كثر و الرؤية مختلفة، وما يؤيد هذا القول وليام بلايك في قوله : "كل عين ترى غير ما تراه العين الأخرى، وحسب العين يكون المرئي" (إحسان عباس، 1955، صفحة 25)

وقد لقب الرافعي المرأة بالشیطانة يقصد بذلك شيطان الشعر، لأن دواعي الإبداع اختلفت مفاهيمها، "فالإلهام كان الباعث لها عند اليونان - وظهرت في الأدب العربي القديم على شكل شيطان الشعر". وكانت العرب

تتحسس قوة ذلك الشيطان أو ضعفه. ويفتخر أن شيطانه "الذكر"، أقوى من شيطان غيره "الأنثى" - كما يقول القائل:

"إني وكل شاعر من البشر : شيطانه أنثى وشيطاني ذكر " (إيليا إبراهيم الحاوي، صفحة 105)

- من مواقف الراجعي النقدية:

اعتمد الراجعي نهج من سبقوه في استحسان الشعر يقول : "والشعر عندي أربعة أبيات، بيت يستحسن وبيت يسير، وبيت يندر وبيت يحن به جنونا. وما عدا ذلك فكالشجرة التي نفض ثمارها. وجنى زهرها لا يرغب فيها إلا محتطب". (الراجعي، 2024، صفحة 233)

وقد سبقه ابن رشيق حين أراد أن يذكر عناصر الشعر :

قال في باب الشعر بعد النية أن تكون من أربعة أشياء هي : اللفظ والوزن والمعنى والقافية. (ابن رشيق القيرواني، صفحة 245)

في حين نرى صاحب كتاب الشعر والشعراء حين قسم الشعر قال : تدبرت الشعر فوجدته أربعة أضرب:

1. ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه:

2. وضرب منه حسن لفظه وحلا ، فإذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى:

3. وضرب منه جاد معناه وقصرت ألفاظه.

4. وضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه. (ابن قتيبة، صفحة 64،66،68،69)

و قد مثل لكل ضرب من الأضرب بأمثلة من الشعر.

كما أن الراجعي يرى بالتوفيق بين اللفظ والمعنى، وهذا الأخير حسب الأول فيقول: "فليس من شاعر قديم أو حديث يعد شاعرا إلا إذا أعطى المعاني خير ألفاظها، جزلة في مقام الجزالة ورقيقة في مقام الرقة ، ولا تجد من يلزمه طريقة واحدة في اختيار اللفظ إلا إذا لزم فنا واحدا في المعنى".

ومن فلسفة الراجعي ونباهته وولوعه بالشعر ذهب به ليخلق عاليا فيعلي من شأنه يقول "ولم أقرأ أجمع فيه من قول حكيم العصر وإمام الإفتاء في مصر، لو سألوا الحقيقة أن تختار لها مكانا تشرف منه على الكون لما اختارت غير بيت من الشعر"، ولا فيما قالوه في الشعراء أجمع من قول كعب الأحبار: "الشعراء أناجيلهم صدورهم تنطق ألسنتهم بالحكمة". (الراجعي، 1322هـ، صفحة 25)

وأخيرا أقول إذا كان "هازلت" قال: "إن الشاعر الذي لا يعرف من شعره هو شاعر لا يستحق أن يدرس" (إبراهيم الكوفي، 1977، صفحة 36)

فإن الراجعي قال: "لا يكون من الشعر ما إذا نطقت به لا شعرت بقلبك يهتز، وفكرك يتحرك، وعقلك يتنبه ولسانك برنين معانيه كأنه جرس يدق ، وإذا كان الشرط ثقيلا كما علمت ربما لا يكون عندنا في هذه الأمة أكثر من أصابع الكف ، فما الذي حمل الناس على الغرور والدعوى حتى يمكنك أن تضع معجما في أسماء شعراء اليوم، لعل ذلك لأن أكثرهم يجد السبيل إلى النظم أسهل مما يتصور فهو يرى أنه إذا كتب كلمات يذكر فيها الورد والقند والنهد ويذيب فيها قلبه، ويشف مرارته، ويلعن الدهر ونجمه، ثم يقول فلان كالبحر، وذلك لقيم كالدهر، ويبيكي الدار ومن بنى الدار أو يرتقي فيذكر بعض المخترعات فقد أصبح شاعرا.

فإذا كان الشاعر العظيم أعمى كهوميروس و ميلتون و بشار و المعري و أضراسهم انبعث البصر الشعري من وراء كل حاسة فيه و أبصر من خواطره المنبثة في كل معنى" (الراجعي، 2024، صفحة 220)

الخاتمة:

من خلال ما سبق يمكن القول بأن الراجعي كانت له نظرة ثاقبة في الشعر، فبالرغم من أنه عاش في عصر كثر شعراؤه إلا أنه لم يكن أقل شأنا منهم، فقد خاض تجربته الأولى في الشعر. فمهما بلغ في كتاباته في فن الإنشاء وفي النقد إلا أن تفضيله للشعر وحنينه إليه بدا واضحا في كتاباته وهو في ذلك يقول : "لو كان النثر ملكاً لكان الشعر تاجه، وإنك إنما تزين النثر بالشعر ولا تزين الشعر بالنثر".

رحم الله الراجعي، ما كان حدثا ولا بنويا ولكن كان كلاسيكيا محافظا، قرض الشعر وكتب في جميع الأغراض، وروض النثر، وأوقد النقد، كانت له مكانة عظيمة بين أهل عصره، وقد قال فيه الباحث.

لك يا راجعي في الشعر فصاحة	قد قدت من كل معدن نفيس
لوما أن حافظا أنشدنا والبارودي	ومن تظلل تحت عرش بلقيس
لقلت بأنك أشعر دهره	لحقت بركب امرئ القيس

قائمة المصادر والمراجع:

1. إبراهيم الكوفي. (1977). الرافعي الناقد والموقف، دار الفرقان للنشر والتوزيع.
2. ابن رشيق القيرواني. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، مكتبة الجاحظ .
3. ابن قتيبة. الشعر والشعراء ج1، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف.
4. إحسان عباس. (1955). فن الشعر. دار بيروت للطباعة والنشر.
5. أبو عثمان بن بخر الجاحظ. البيان والتبيين ج1، تحقيق: عبد السلام هارون.
6. أبو الفضل إبراهيم محمد ، تحقيق : ديوان امرئ القيس. دار المعارف، ط.5
7. إيليا إبراهيم الحاوي. حركة النقد الحديث والمعاصر في الشعر العربي، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط1.
8. الرافعي مصطفى صادق. (1322هـ). الديوان. شرح: محمد كامل، ج1، مطبعة الجامعة الإسكندرية.
9. الرافعي مصطفى صادق. (2024). وحي القلم ج3 ، تحقيق : محمد بن إبراهيم الأزهرى، دار العلم والمعرفة، مكتبة التقوى، طبعة جديدة.
10. محمد بن سلام الجمحي. طبقات الشعراء، منشورات بيبضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان.
11. محمد سعيد العريان. (1955). حياة الرافعي ، المكتبة التجارية الكبرى ، ط3
12. ناصر الدين مهدي محمد ، شرح ديوان طرفة بن العبد، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ط3.